باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنتحناه ترقياً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج من موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) والمناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عطيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

زال البأس وانتفى المحذور

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغرّ

الحمد لله على زوال البأس وانتفاء المحذور فقد مرّ يوم ١٧ ديسمبر كغيره من الايام لم يحدث فيه حادث غير عاديّ فلا جذبت الشمس الارض اليها ولا خففت قبضتها عنها فتركتها تندفع في عرض هذا الفضاء الواسع الى حيث لا يعلم احد الا الله . ولا كانت في ذلك اليوم نهاية هذه الكرة كما تخرص به فلكيّ يسمونهُ بورتر ولا نعلم فلكيًّا نابغاً بهذا الاسم

ولنفرض ان بورتر رجل موجود وحيّ من المرزوقين فندعو عليهِ بادئ بدء بان ينقطع عنهُ هذا الرزق وان يناله بعض عواقب تخرصهِ المشوم جزاء ما استحوذ بهِ من الرعب على القلوب . فقد مضت ايام ولم يكن لاهل هذه العاصمة حديث الاّ النكبة المرصدة لهذه الارض بمن عليها . فلما جاء يوم ١٦ ديسمبر بزوابعهِ ورياحهِ الهوج وبردهِ القارس صمماهم يقولون هذا بدء النهاية واول الآخرة وتمنى كثيرون ان يجيئهم القدر المحتوم وهم ناعمون فلا تأخذهم رعدة تستلبُ لها المسامع وتصطكّ الركب ولا يشعروا بهذا الانتقال الهائل من هذه الدنيا الى الاخرى . ولكن الله سبحانهُ وتعالى اكرم من هذه الطبيعة البكاء الصماء واكرم من خلقهِ الذين ليس في قلوب اكثرهم ذرة من الايمان ولا في رؤوس بعضهم مسكة من العقل فجاء يوم ١٧ ديسمبر كغيرهِ من الايام بل لاحظ بعضهم انهُ كان احسن من سائر اخوتهِ السابقيهِ من ديسمبر سواء كان ذلك في طبعهِ او في طبع اهله

ولو فقه الناس لفطنوا انهُ لو كانت الارض موعدة بشرّ مستطير لجاءها الشرّ في ١٣ ديسمبر ورقم ١٣ معروف بالشؤم من عهد سيدنا المسيح عليهِ السلام . وربما فطنوا لذلك ولكن تطيرهم من هذا الرقم زال بعد ما مرّت سنة ١٩١٣ على الناس فكانت آخر سني نعمام واتت سنة ١٩١٤ فكانت اول سني بؤسام

وليس بورتر باول متخرص في التاريخ بشر الناس بعذاب أليم ثم لم يأخذهم ذلك العذاب . فقد انذر يونان اهل نينوى بهلاكهم وخراب مدينتهم فتابوا الى الله فمنع عنهم العذاب . وقام في ايام ابي تمام منجمٌ ينبئ الناس بداهية دهياء لم ينكبوا بها فقال في ذلك ابياتهُ المشهورة

وفي سنة ١٨٨٠ ظهر مذنب من المذنبات الكبيرة كالذي ظهر سنة ١٩١٠ فانذر منشائم بان الناس يصابون اولاً بدمامل وقروح تأكل ابدانهم ثم يضربهم المذنّب بذنبهِ فيمحوهم هو وارضهم. وغنيٌّ عن البيان انهُ لم يحدث شيء من ذلك

وفي السنة التالية اي سنة ١٨٨١ قام متنبئ في بلاد تركيا ينذر الناس بزلزلة شديدة . فخافت الحكومة العثمانية على ارواح رعاياها فارسلت المنادين في الاسواق ينادون وينصحوا لسكان المدن بان يبيتوا ليلتهم في العراء ففعلوا وفعلنا نحن كذلك — خرج اهل بيتنا كلهم الى بستان اصحاب لنا ولم يبق في البيت الاَّ جدتنا لانها كذبت ذلك المتنبئ ولم تصدقهُ مثلنا فصدقت وكذبنا . ولما عدنا اليها في صباح اليوم التالي وقد اخذنا العجب من بقائها حية قالت وقد بدت نواجذها « يا اولادي من كان لهُ عمر لا تقتلهُ شدة »

ومما تجدر الاشارة اليهِ ان الناس فيما نكبوا بهِ من النكبات الطبيعية لم ينلهم من البؤس والسوء عشر معشار ما نالهم من هذه النكبة الصناعية اريد بها هذه الحرب التي اذهبت ملايين الرجال وابادت التناطير المقنطرة من الاموال وتركت خلق الله في حال من البأساء والضراء لا يعرفون متى تنتهي ان كانت مما لهُ آخر. فاذا اجتاحت جائحة الارض بمن عليها فليس ذلك بمستغرب بل الذي نستغربهُ ان يترك الله الناس — ولا اعتراض على احكامهِ — يتمتعون بنعيم هذه الدنيا على مشاءاتهم الكبرى. فانهُ عز وجلّ ليس بأقل ندماً الآن مما كان في قديم الزمان على خلق الانسان

(مفائل)

الالفاظ غير الشعرية

حضرة رئيس تحرير المقتطف ادامهُ الله

جاشت في نفسي روح الشعر والعادة فيَّ ان تجيش بعد مطلع كريم الطرفين صدرهِ وعجزهِ محبوك النسج كزرد الدرع لا يد لي في حوكهِ ولا فضل في حسن انسجابهِ وانما الفضل كلُّهُ للاهات الشعر يلهمني اياه ثم يتوارين تاركات اياي وحدي اتخبط في دياجر النظم فتخرج القصيدة وكأن مطلعها ليس منها ولا هي منهُ وان يكن فيها . وهذا المطلع هو

البيت وقفتنا بدارة جلجل ويح الشجيِّ المستهام من الخلي

واتفق اني تلوتهُ على مسمع صديق ظريف فقال : يا هذا اذكر لك مقالة في المقتطف في اوائل هذا القرن انحيت فيها باللوم على اولئك الشعراء المتشبثين بالقديم وقد سميتهم فيها بالمحافظين تشبيهاً لهم باهل السياسة واشدت بذكر الشعراء المجتهدين الذين سدلوا على القديم حجاباً كثيفاً واتوا بالجديد وسميتهم بالاحرار فما بالك اليوم عدت محافظاً بعد ان كنت حرًّا . اذكر انك انكرت على شعرائنا أن يأتوا في شعرهم باسماء اماكن لم يروها الاَّ في الشعر وقلت ما مفادهُ انهُ بدلاً من ان يتغزل الشاعر المصري بعيون المها بين الرصافة والجسر وهو لم يعرف الرصافة الاَّ بالسمع ليتغزل بعيون المها بين الجزيرة والكبري وهما مكانان يراهما ويسمع بهما كلَّ يوم . فما انت ودارة جلجل هذه يا هذا

قلت القافية حكمت والبيت لقنتهُ تلقيناً فالذنب على الاهات الشعر اللواتي اوحين بهِ

قال القافية لا تحكم وهؤليائكن اللواتي تسمينَ الاهات الشعر متابعة للاقدمين من اليونان والرومان لسن بمعصومات عن الخطاء . فما احراك ان تصلح لهنَّ ما افسدتهُ والذنب عليَّ . فهل للمطلع حكاية وما هي واين كانت تلك الوقفة يا ترى

قلت للمطلع حديث ذو شجون كما يقولون وهو اني خلوت بحبيب لي ايام الصبا بظاهر بناء متهدم كان فيما مرَّ معملاً لشيء من الاشياء لا اذكرهُ الآن . فتعاتبنا وتشاكينا وتباكينا

دون التمائق تاحلين كشكلتي نصب ادقّها وضمّ الشاكل

كما قال المتنبي ثم تعرفنا فاوحي اليّ بهذا البيت

قال فما ضرّك وضرّ الاهاتك لو قلت :

انسيت وقفتنا وراء المعمل ويح الشجيّ المستهام من الخلي

قلت انهُ لكذلك ولو كره الشعراء المتحذلقون الذين يقولون ان كلة معمل ليست من الشعر في شيء . وانصرفنا على ان يكون هذا البيت مطلع القصيدة ونيهِ المعمل مكان دارة جلجل شاعر حرّ

ايام المغرب الاقصى

ارق السلطان . والثمرة المنهيّ عنها

حضرة الفاضل محرر المقتطف

اطلعت في التيمس على رسالة من مكاتبها في المغرب الاقصى بالعناوين المتقدمة فرأيت ان الخصها بما يلي تفكهة القراء . قال

اذا مني سلطان دستوريّ بالارق فالمرجح ان خادمهُ الخاص وامراتهُ هما اللذان ينالهما بعض عاقبة هذا الارق دون غيرهما ولكن اذا كان المؤرّق ملكاً مستبدًّا اذا قال فعل واذا امر باطاحة الرؤوس عن مجالسها أُطيحت فعن العاقبة لا تسل

مضى على السلطان ثلاث ليالٍ لم يغمض لهُ فيها جفن فقلق اهل القصر لذلك ولو لم تكن آثار الارق قد بدت عليهِ . نعم انهُ شكا بعض الشكوى ولام كلّ انسان وكلّ شيء على سهادهِ ولكنهُ بقي مالكاً طبعهُ . وكانت بطانتهُ حائرة لا تدري هل تدوم هذه الحالة طويلاً وان كانت لا تدوم فمتى يفارقهُ صبرهُ ويبيت غير قادر على كبح جماح عواطفهِ

اما سبب ارق السلطان فهو هذا : هل كانت الثمرة المنهيّ عنها والتي اكلت حواء وآدم منها (وهنا تقدم حواء على آدم لانها تقدمتهُ في الاكل) رمانة ام برتقالة . والسلطان لا يعرف التفاح اما الرمان والبرتقال فكثير في العراق والمغرب . وعليهِ بقيت المسئلة محصورة بين الرمان والبرتقال

وهناك على القليل مئة سبب وجيه تحمل على الظنّ ان الثمرة التي اكل منها رمان كما ان هناك مئة سبب وجيه او اكثر تحمل على الظن انها برتقال . ولكن ليس بين هذه الاسباب كلها سبب مقنع مفحم . وكان جلالتهُ يعلم ان الحجج التي يدلي بها هو دفاعاً عن هذه الثمرة او تلك ليست مما يؤخذ بهِ . وامر ان يؤتى اليهِ برمان وبرتقال فاكل منهما ليقابل بينهما لعلّ ذلك يساعدهُ على الحكم في ايهما افضل فلم يجده ذلك نفعاً لان فصل الرمان كان قد انقضى والثمر كثير النضج وفصل البرتقال كان قد ابتدأ والثمر قليل النضج حامض . وكان يرجو ان الاكل منهما يشحذ قريحتهُ للحكم فاذا بهِ يوقع الخلل في هضمهِ ويزيد سهادهُ شدة . ولم يستطع اعوانهُ ان ينفعوهُ بشيء وجهد ما في الامر انهم ذكروا نصوصاً واسانيد لا آخر لها زادت المسئلة تعقداً ولم تفرج كرب السلطان

وبلغت آثار الجدال دائرة الحريم فانقسمت ازواجهُ وسراريهِ بعضهنّ على بعض ففئة لبست ملابس من قطيفة لونها رماني وفئة ملابس من الدمقس والحرير لونها برتقالي

وفي اليوم الرابع أُدخل عليهِ عظماء السلطنة وحكماؤها بدعوة منهُ ليشاورهم في هذه المعضلة فامرهم بالمفاوضة في المسئلة واصدار قرار يزيل الشكوك التي حامت حول ذهنهِ ويخلصوهُ من هذا القلق وهذا الارق . ثم نزل يتنزه في حديقتهِ فزادتهُ رؤية اشجارها الزاهرة تيقظاً على تيقظ فامر ان يجلد بعض عبيدهِ بالسياط لغير سبب وامضى امراً بمصادرة املاك والٍ من ولاتهِ طيب السيرة والسريرة. وفي جملة ما صودر زوجاتهُ

وفيما كان ينتظر حكم وزرائهِ ومشيريهِ اذا بهِ يسمع منادياً في الاسواق يقول « احلام صادقة للبيع » ويكرر هذا القول . فامر غلمانهُ ان يدخلوهُ عليهِ فادخلوهُ فقال « اريد منك حلماً صحيحاً عن جنة عدن لعلي اعلم ما هي شجرة معرفة الخير والشرّ » . فمال العراف الى جراب كان معهُ وتناول منهُ قصاصة كتب عليها بعض كلمات ثم طواها وجعل منها حبة وقال للسلطان « ليبتلع مولاي هذه الحبة قبل منامهِ فيرى ما يشاء من الاحلام »

فسرّي عن السلطان وامر ببائع الاحلام فاستيق الى السجن ليقضي فيهِ ليلتهُ.

فاذا رأى السلطان حلماً اطلق سراحهُ في صبيحة الغد والاَّ جلد او شنق

فنام السلطان ليلتهُ ريان الاجفان ولم يفق في صبيحة اليوم التالي حتى بعد شروق الشمس فشعر براحة لم يشعر بها منذ زمان طويل ولكنهُ لم يرَ حلماً ما. فامر بجواده فأُسرج لهُ وخرج للصيد والقنص في حشمهِ واعوانهِ وعاد عند الظهر وجلس على العرش ولم يكد يفعل حتى جاءهُ حاجب الحجاب يقول ان حكماء السلطنة يلتمسون مقابلتهُ فدخلوا عليهِ وهم يرتعدون فرقاً فقال قاضي القضاة :

مولاي لقد قضينا يوماً وليلتهُ نراجع الاسانيد ونقرأ النصوص الكثيرة بهذا الشأن

السلطان — واي شأن

قاضي القضاة — مسئلة الثمرة المنهي عنها وهل كانت رمانة ام برتقالة

السلطان — حقًّا انكم انفقتم وقتاً كثيراً على مسئلة لاطائل تحتها. فاستخدموا اوقاتكم في المستقبل لامور تنفعكم فتنحوا الآن عني واخرجوا من امامي

ثم التفت الى رئيس حجابهِ وقال « في السجن بائع احلام باعني امس حلماً ولكنني لم احلم . ولما كنت قد نمت نوم العافية فاما ان تطلق سراحهُ واما ان تشنقهُ فافعل ايهما اكثر ملاءمة » . لان السلطان رجل عادل

يا ليل الصب

سيدي العلامة المفضال

لقصيدة « يا ليل الصب » معارضات كثيرة جداً ربما نقوم بطبع شيء منها في الطبعة الآتية ولكن من يمعن النظر في الابيات التي نشرت في باب السؤال باسم ابن الآبار يرى ان البيتين الاخيرين للحصري ولكن دخل عليهما شيء بسيط من التغيير في صدريهما وانني من الشاكرين لجنابكم على عنايتكم بتقريظ القصيدة باهتمام عودتمونا ان نظفر بهِ في كل كتاب لطبعهُ . لا زلتم اهلاً لكل فضيلة ومكرمة ولا زال المقتطف استاذاً عاماً لجميع طلاب المعارف

محيي الدين رضا

ديوان

تاريخ الحرب الكبرى

في هذا العام اتحفت آداب اللغة العربية تحفةً نادرة المثال . والارجح انها الوحيدة فيها وعادمة النظير في غيرها من لغات العالم . وهي ديوان يصف ملاحم الحرب الكبرى ووقائعها ومواقفها السياسية . وقد استوفى كل ما يخطر في بال شاعر ضليع بليغ حتى اذا قرأها اولادنا واحفادنا صوّرت في مخيلاتهم اهوال هذه الحرب وعظائمها . وفي يقيني ان هذا الديوان الخطير الشأن سيكون لاهل الاجيال القادمة المرجع الاول لذكرى الحرب وملخّص اخبارها التي جُمعت في ٣٦ قصيدة اشتملت على ١٥٠٠ بيت تقريباً

اما الناظم فشاعر من كبار الشعراء معروف في العالم العربي . ولا نزيده تعريفاً اذا قدمنا الى القرّاء اسمه افندي داغر . وقد نُشرت لهُ قصائد غرّاء في المجلاّت والصحف فضلاً عن المقالات النفيسة التي كان يكتبها في المقطم منذ بضعة عشر عاماً

وقد امتازت هذه المنظومات النفيسة بمزايا قلما اجتمعت في غيرها من منظومات الاقدمين والمحدثين اذكر اهمها

اولاً الجزالة واللاسة وهما اول ما يُستحبُّ في الشعر ولاسيما الشعر العصري. فترى معظم اشعار هذا الديوان لا تفرق عن النثر الاّ ببلاغة الشعر وسحر التعبير فيهِ فتكاد تفهم البيت كلهُ قبل ان تتم قراءتهُ . وهو لعمري خير ضرب من ضروب الاعجاز في الشعر واليك مثلاً عليهِ قولهُ في وصف دخول رومانيا في الحرب واتخاذها صفحة ٥٠

سنتان طال مداها والحرب ما فتئت تزيد تسعّراً وتضرّما
ونطاقها يمتد في الدنيا على سكانها بدجى الشقاء مخيما
ما انفكّ محتشها يخاف خمودها فيزيد مارجها وقيداً كلما
كم داس عهداً واستهان كبيرةً واجتاس قدساً واستباح محرّما
واتى جرائم اجفلت من هولها الـ دُنيا وضجّت من فظائعها السما

واليك نموذجاً آخر في قصيدته « مصر والمصريون » صفحة ٨٥

مصر ام الدنيا كما لقبوها ليس في الكون مثلها من مكانِ
سبكتها يد الطبيعة منـذ الـ ـبدء سبكاً في قالب الاتقانِ
وكستها يد المحاسن ثوباً ليس يبلي جديده الملوانِ
واذا الارض كان فيها جنان فاعلموا ان مصر ابهى الجنان

وقس على هذه الجزالة وصفهُ لجوها ووديها ونيلها ورغد العيش فيها

ثانياً مطابقة اللفظ للمعنى وهو لا يتأتى الا لمن ملك ناصية اللغة وقبض على عنق الفاظها واساليبها وسيطر على اصولها بحيث يسهل عليهِ ان يختار بلا اعنات فكر ولا اجهاد قريحة الالفاظ والتراكيب الموافقة للمعاني . ولا يخفى ما يستلزمهُ ذلك من الضلاعة وسعة الاطلاع . واليك امثلة عليهِ في هذا الديوان في وصف بدء الثورة الروسية صفحة ٦٦

يا لها من حرب عوان زبون فيهِ البرايا تدور كالمجنونِ
انها كالرحى وهم كالطحينِ كل يوم حديثها ذو شجونِ
مضرم في الورى سعير الشجونِ

لا يني بحرها الخضمُّ يمجُّ بهديرٍ للارض رجّاً يرجُّ
ولظاها في الخافقين يثجُّ والوف الالوف فيها تزجُّ
كهشيم يزج في اتونِ

غشي الارضَ مارج الهيجاء وتلظى ضرامها في الهواء
وعلى الماء ثم تحت الماء عمَّ قتل الورى وسفك الدماء
وعلى الكون مدَّ زيج المنون

الى ان قال

عصفت بينهم رياح الشقاقِ فاصمات منهم عرى الاتفاقِ
فنظرنا واذ بنا لا نلاقي بعد ماضي الوئام غير الشقاقِ
عابثٍ بالنظام والقانون

فانظر الفرق بين فخامة ذلك اللفظ وهول وقعهِ في النفس وبين رقة اللفظ وعذوبتهِ في موشّح تحية لبنان صفحة ٧١

حيِّ عنا يا نسيم الوطنا فلقد ذبنا عليهِ شجنا

من ضفاف النيل حنّت للشآم انفس تهدي على البعد السلام
لا تلمها يا عذولي هل يُلام من سلا الدنيا وحب الوطنا

من ربى الاهرام للارز صبا مغرم يذكر ايام الصبا
في ربوع اهلها ايدي سبا ذهبوا والبؤس فيها استوطنا

يا ربوعاً كلما دار لها في فمي ذكرٌ شجاني ولها
عنك قلبي قط يوماً ما لها كيف الهو عنك يا كل المنى

ومثل ذلك قولهُ في مناجاة لبنان : —

وطني ناجاك عن بُعْدٍ بنوك وعلى ذكراك داموا ما نسوك

شوقهم باقٍ على رغم البعاد كل يوم في نمو وازدياد
واذا النوك محتاجاً لفاد واستطاعوا عرضوا ان يفتدوك

كلما هبَّ نسيم عطرٌ ذكروا لبنانهم واستعبروا
وبهم هاج الجوى يسعرُ كتتاد لافح اللذع يشوك

ثالثاً متانة التعبير وسلامتهُ من جميع مخلات الفصاحة والبلاغة واستيفاؤهُ جميع شروط البيان . وهي مزية اجرأ ان اقول انها ليست لجميع كتاب العصر على السواء على ان ناظم تاريخ الحرب ثقة من ثقات اللغة حتى اذا قرأت نظمهُ او نثرهُ كنت مطمئناً انهُ خلوٌ من الخطإ اللغوي والبياني او اي الخطاء فيهِ نادر جداً ولله العصمة . ولذلك يليق ان يكون هذا السفر النفيس بين ايدي الطلبة ولاسيما طلبة اللغة حتى اذا اقتبسوا او حفظوا منهُ الفاظهُ الدرية او تعابيرهُ الجميلة كانوا آمنين الخطاء في الاقتباس . ومثل هذا الخطاء كثيراً ما يتناقل على غير علم المتناقلين والمتداولين

لهذه الاعتبارات الجوهرية ولغيرها من الاعتبارات الاخرى التي يشعر بها المطلع على هذا الديوان اقول ان منظومات تاريخ الحرب الكبرى هي خير تحفة من تحف آداب اللغة العربية التي لا يجود الزمان بها كل حين ولسوف تكون هذه المنظومات البديعة مدعاة دائمة للثناء على الناظم وللاعجاب بقريحتهِ الوقادة

نقولا الحداد